

أزمة كورونا والمشروع المدرسي الجديد للمواطنة العالمية الناجحة

اعداد الباحث: بوكرين كريم

أستاذ باحث في اللغة والتواصل وعلم الاجتماع، جامعة الحسن الأول – المغرب

Email: Bougrine_karim@hotmail.com

ملخص

أحدثت أزمة كورونا العديد من الهزات التي ارتبطت بجوهر مكتسباتنا حول قضايا عهدنا في زمن قريب مألوفة ومنزهة عن كل شائبة، لكن الحقيقة أن الأزمات تدعونا دوماً إلى مراجعة هذه المكتسبات وإعادة مسألتها في سياق المستجدات والتغيرات القائمة. من بين هاته القضايا موضوع المواطنة الذي تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على خصائصه في سياق مقارنة سوسيولوجية يتحول فيها مفهوم المواطنة إلى فكر قائم بذاته ومتجاوز للأطروحة الضيقة والنمطية التي يبنى عليها الانتماء المحلي، وتتسع معها دائرة المفهوم داخل زمن معلوم ينبذ الفوارق والاختلافات ويشيد بالانخراط الإنساني الكلي في أفق مشروع مواطنة نام، متحرك وواع بقضايا العالم، بأزماته والمخاطر المحيطة به. وبذلك تصبح المواطنة تعبيراً عن إنسانية عميقة لا تتأثر ثمارها إلا من خلال نموذج تربوي مبني على الديمقراطية والعدالة وساع إلى استشراف مشروع مواطنة عالمية، بقدر ما تسعى إلى تحقيق رفاهية الإنسان وسعادته ترمي في ذات الوقت إلى تدبير أزمات العالم ومقاومتها.

الكلمات المفتاحية: التربية، الديمقراطية، المواطنة العالمية، القيم، مدرسة المستقبل، المخاطر، المواطن المثالي، التدبير المعولم.

Abstract

The Corona crisis has caused many tremors that have been linked to the essence of our gains regarding familiar and blemish-free issues of our era in a short time, but the truth is that the crises always invite us to review these gains and call them into question in the context of new developments and existing changes. Among these issues is the subject of citizenship, which this study under scrutiny seeks to pin down its characteristics against the backdrop of a sociological approach in which the concept of citizenship turns into a discrete and autonomous thought that transcends the narrow and stereotypical premise on which local belonging is based, and widens the concept framing within a globalized time that rejects disparities and differences, and endorses total human involvement in pursuit of a developing citizenship project, mobile and cognizant of the world issues, its crises and the imminence surrounding it. Thus, citizenship becomes an expression of deep humanity that can only yield fruit through an educational model based on democracy and justice, seeking to foresee a project of global citizenship, insofar as seeking to attain human well-being and welfare; a model which aims to manage and resist world crises at the same time.

Key words: education, democracy, global citizenship, values, the school of the future, risk, ideal citizen, globalized management.

مقدمة

مفهوم المواطنة مفهوم متشعب وحامل لدلالات مختلفة، كما تتحكم فيه المحددات الاجتماعية والثقافية والسياسية وحتى الاقتصادية. وهو مفهوم شائك وي طرح العديد من الإشكالات الكبرى على مستوى الترجمة في ظل ارتباطه بالسياقات السالفة الذكر. ف نموذج المواطنة في دول من قبيل بريطانيا، الدانمارك، جنوب إفريقيا، اسبانيا ليس ذلك الذي نجده في النموذج الاسباني الذي يعرف المواطنة على أنها مجموعة من السلوكات والقيم والمواقف التي تتجاوز دائرة جغرافية معينة وبهذا يصبح مفهوم المواطنة مفهوما مرتبطا بالسياقات السياسية لكل بلد.

ولقد عرف مفهوم المواطنة تحولا كبيرا ارتبط بالامتداد التاريخي الذي شهده مفهوم الدولة (الدولة الرعاية، الدولة العناية، دولة الخيرات، الدولة الوطنية). كما أنه مفهوم ارتبط أيضا بميلاد الديمقراطية وحقوق الإنسان وبتعدد النماذج الأسرية وبالمساواة بين الجنسين...

جائحة كورونا اليوم وما عقبتها من تبعات اقتصادية واجتماعية وسياسية إقليمية ودوليا، تدفعنا إلى مقاربة موضوع المواطنة من جديد بملامح جديدة لا تنفصل عن تنظيرات الماضي بل توسع نطاقها داخل عالم معولم تغزوه المخاطر. لقد دقت هذه الأزمة العالمية ناقوس الخطر بشأن علاقتنا بهذا العالم وبشأن الجيل المدرسي الذي نود تشييده ويرز من جديد التساؤل حول القيم التي نسعى إلى تثبيتها.

على هذا الأساس، تسعى هذه الدراسة إلى طرح قضية المواطنة داخل الفضاء المدرسي عبر جرد للتقاليد الأوروبية والأمريكية بهذا الخصوص ومد الروابط بينها وبين المدرسة المواطنة التي تتوق إليها في ظل جائحة كورونا التي ضربت العالم والتي أكدت حاجتنا القصوى إلى تدبير الأزمة بمنطق الإنسان العالمي أو المواطن العالمي وليس بلغة الانحسار الثقافي أو منطق الانتماء المحلي.

أهداف الدراسة

- التأسيس لمشروع مواطنة عالمية قادرة على تدبير الأزمات تحت عنوان الانتماء إلى الإنسانية.
- الإطلاع على التقاليد الأوروبية والأمريكية المتعلقة بموضوع المواطنة ومحاولة تكييفها مع مشروع المواطنة العالمية الجديد.
- الانتقال من المحلية إلى الكونية والتخلص من عقدة اللون المحلي لصالح فكر شمولي وديموقراطي.
- التجاوز الجزئي لمنطق التربية على الخصوصيات والانتماءات الضيقة وإعداد نموذج جديد لمواطنة تشخص، تنتبع وتقيم الأزمات التي تصيب العالم.

¹ - تم الاعتماد في تحديد مفهوم المواطنة على مقاربة سوسيولوجية تستثني النوع السياسي الذي يلزم المفهوم بتحديدات غير منسلخة عن لغة الإيديولوجيا

- التأكيد الدائم على دور المدرسة في الإعداد لمواطنة تحجر على النمطية والتسلط الثقافي وتعمق لدى الأجيال مبدأ الانخراط في المشروع الإنساني.
- التجربة المشاركة والقيم الكونية كمواقع تأسيس لمواطنة عالمية ناجحة.
- أهمية المواطنة العالمية في التصدي للمخاطر وتوقع حدوثها.

أهمية الدراسة

تكتسي هذه الدراسة أهمية كبرى بالنظر إلى المشروع الذي تتضمنه والمتعلق بقضية المواطنة، فالجائحة التي ضربت العالم وأصابته بالشلل والتراجع أيقظت من جديد أهمية الانخراط في مشروع مواطنة كونية من خلال التأسيس لمشروع مدرسي هادف يربي الأجيال اللاحقة على تفضيل حس الانتماء الإنساني على خصوصية الحسابات الثقافية الضيقة. حيث لا مجال ولا مكان للانحسار الثقافي المحلي في زمن أيقنت الإنسانية بأكملها أنها على نفس الخط من الخطورة والتهديد، وبذلك ثبت للجميع أن الإنسان ملزم في جميع بقاع هذه الأرض بأن يتجاوز أنانيته وانتماءاته الإقليمية والجهوية خدمة لهذا العالم.

المواطنة بعيون مدرسية

يتفق الجميع على أن المدرسة فضاء لتشكل المواطنة المشاركة والايجابية (السالموطي، ص ١٢١)، أي مواطنة خالية من القيود وغير خاضعة لهيمنة معينة. وضمن نفس المسار تلتحق بالمدرسة مؤسسات أخرى تساهم في إرساء قواعد المواطنة من قبيل الإعلام، المنظمات غير الحكومية، المصالح التجارية، الأسرة، وكذلك الانتماءات العرقية الفاعلة ايجابيا.

في جانب آخر، تحاول المدرسة في بعض الدول كالدانمارك، فرنسا، سويسرا، خلق مواطنة قائمة على الديمقراطية التشاركية. وتمثل انجلترا نموذجا حقيقيا لهذا النوع المنبثق من وضعيات ومبادرات مؤسسية، فالمواطنة بهذا المنظور لا تقف عند حد التعيد الاجتماعي والثقافي والاقتصادي بل تصير أقرب إلى نظرية سياسية فالتربية على المواطنة تكون أقرب من مسؤولية برلمانية يمتزج فيها الحس السياسي بالشق التربوي (الوظيفة السياسية، الحس الانتخابي، وظيفة البرلمان). وتعتبر هذه الجوانب شاهدة على خصوصية المواطنة عند المدرسة الانجليزية التي تتفرد بالطابع السياسي التربوي.

فالنصوص الانجليزية ترافق مفهومي المواطنة والمواطن بمفاهيم "المسؤولية، الدينامية والشراكة". أما النصوص الفرنسية، الدانمركية والسويسرية فهي تخضع المفهوم لحمولة إيديولوجية اجتماعية. ويدفعنا هذا التشعب في أشكال المواطنة التي ترسمها كل دولة إلى الشعور بقلق معرفي ينبعث من أهمية المفهوم نفسه ومن إشكالية النموذج الذي ننشده، فالسؤال المطروح هو ما هو النموذج المثالي للمواطنة التي نسعى إلى بنائها؟

لا تستقيم الإجابة عن هذا السؤال إلا خلال من استدعاء ثلاث مبادئ أساسية وهي على التوالي:
الوطنية^٢/Nationalisme/النشاط / action والمسؤولية responsabilité.

وتبعاً لهذا المعطى، لا بد إذن للمواطنة الحقيقية أن تساهم في تفعيل الإشراف والاندماج^٣ المثمر كما يدعو إليه التقليد الفرنسي ذو الخصوصية التنوعية، لا بد لهذا النموذج من المواطنة أن يحجر على العنصرية ويستصدر جميع أشكال الاختلافات العرقية. ولا يتأتى هذا إلا بخلق مدرسة تتبنى استراتيجية الحذر من المستجدات القائمة اقتصادياً، اجتماعياً وسياسياً.

فالمواطنة ليست فقط مجهوداً معرفياً مبنياً على شعور وجداني بالانتماء، فهي أيضاً مجموع سلوكيات ومهارات وقيم وتجارب، فالمدرسة السويسرية مثلاً تعمل على شكل مشتل يسعى إلى إشراك التلاميذ في صنع القرار، اتخاذ القرار وسلطة القرار في إطار ما يسمى بمجالس التلاميذ. وهو دور أصبح باهتاً وغير عميق في بعض التجارب التي خاضتها فرنسا وإسبانيا التي انحصرت دورها فقط لا غير في خاصية التعبير الحر لدى التلاميذ. نحن إذن أمام مفهوم متنوع ومنفلت جغرافياً، نضيق وسطه بين ما نريد وبين ما هو كائن، بين الأهداف والغايات المرجوة من جهة وبين الحقائق القائمة من جهة أخرى.

يرى أوديجي أن المواطنة المثالية تطال العديد من الميادين (أوديجي، ٢٠٠٧، ص ٢٠) حيث يتقاطع القطب السياسي بالقطب الأخلاقي (لوبومبول، ٢٠١٢، ص ٢٢). فهي تعبير عن إرادة التغيير وإرساء للحياة الديمقراطية كما أنها لا تنفصل عن مبادئ التعدد والوحدة على السواء، فهي في آن واحد ميزان عادل بين الكونية والخصوصية. وهذا ما جعل السؤال مطروحاً حول ما إذا كانت قيم المواطنة كونية إنسانية أم متنوعة بتنوع الخصوصيات؟ (كلير، ٢٠١٢، ص ١٣).

المدخل الثقافي والمواطنة

لا تنفصل قضية المواطنة عن مسألة الثقافة، فالتعدد الثقافي والتداخل الثقافي والحرب الثقافية والتصادم وغيرها تعبر عن مشاهد لواقع ثقافي تؤثر في مشروع المواطنة بشكل كبير. في هذا الصدد، ذهب **ماروسيارفو** إلى الاستدلال بنموذج الهند وانجلترا الذي يسمه التنوع والاندماج على نفس مسار فرنسا، دولة التعدد المجتمعي في مقابل النموذج الدانمركي المعروف بإقصائه الممنهج وغير المرئي للمهاجر (رافو، ٢٠٠٧، ص ٤٣).

فحسب النموذج الدانمركي، تتشكل المواطنة وسط صراع بين التوجه التقليدي الديمقراطي وبين التوجه الحديث المسطر من طرف الحكومات كما أنها تجسد سياسة التمييز والإقصاء التي تتبناها المدرسة نفسها في مشروع ما يسمى بـ"المواطنة الخالصة".

²Du *civis* de la république romaine à « l'entreprise citoyenne » de la fin du XXe siècle, l'histoire de la notion de citoyen a suivi les attentes politiques de chaque époque. Ce concept constitutionnel a connu ainsi de nombreux déclinés et renaissances qui ont modelé notre vision contemporaine de la citoyenneté

³المواطنة التشاركية مفهوم سياسي أصبح معتمداً في النهج الديمقراطي الذي سارت عليه نماذج بعض الدول الأوروبية.

في حين أن هناك دولا أخرى أسست لمفهوم المواطنة باكتفائها بتحقيق العيش المشترك من أجل امتصاص مواقع الصراع و التصادم والتخلص من المركزية العرقية. ويستدل في جانب آخر *ماروسيا رافو* بالنموذج الهندي (رافو، ٢٠٠٧، ص ٤٤) الذي يبقى رائدا في طرح نموذج مواطنة ايجابية تتشكل من خلال الثقة في قدرة التلميذ على حمل مشعل التغيير عبر إرساء قواعد مواطنة فاعلة ومساعدة على التحدي.

نحو إعداد المواطن المستقبلي

يعتبر كتاب الديمقراطية والتربية الذي ألفه جون ديوي سنة 1916 إلى جانب كتاب "التجربة والتربية" الذي كتبه سنة 1938 من أشهر الأعمال المتمركزة حول موضوع التربية، فلقد تمكن جون ديوي بفضل أفكاره التربوية أن يؤسس لفكر جديد وفلسفة تربوية مرتبطة بمفاهيم الإدارة والمنهاج. و تحولت فلسفته إلى نظرية سيكودينامية مثالية تتغىي ديمقراطية الحقل التربوي و ربطه بعلم النفس كمنطلق نلمس فيه ظاهرة النمو عند الطفل كمرحلة من مراحل تطور التجربة الإنسانية .

ولقد سمي جويل زاسك نظرية جون ديوي بالنظرية الذكية، وهي لا تتسلخ بشكل عام عن فلسفة التجربة التي أسس لها . فحسب جون ديوي هناك رابط أساسي بين نظرية التجربة والنظرية السياسية ، فالمجتمع الحديث لا يمكن فهمه إلا عبر منطق البحث التجريبي، ولا يمكن رصد معالمه إلا من خلال ديمقراطية الروابط الاجتماعية و اعتبارها انعكاسا للحياة اليومية . بهذا المنطق ، تحتضن فلسفة جون ديوي تحت مسار واحد كلا من مفاهيم الديمقراطية التجريبية و لبنات النظرية التربوية (زاسك، ٢٠٠١، ص ٥٣).

بشكل عام، يرتبط مشروع المواطن بقضايا التضامن والحق المدني واحترام الآخر، كما يرتبط بمكاتب الانتخاب والحس السياسي، وبالتالي فان صنع المواطن يمثل نشاطا أساسيا ومستقلا له برنامجه و إطاره الزمني الخاص ، هذه الاستقلالية عن الحياة المهنية والجماعية والأسرية، تذكرنا بما جاء في كتاب "إيميل" لجون جاك روسو، حيث نموذج "المتوحش الطيب" البعيد عن كل تبعية ، الحر و المكتمل.

ما يثير الانتباه عند قراءتنا لنص جون ديوي حول التربية هو أن إعداد المواطن لا يستلزم أي شكل من أشكال التربية المتخصصة في مجال التشريع العمومي والتاريخ الوطني والأخلاقي، بل إن مشروعه يتمركز حول تربية يشارك فيها التلاميذ من خلال تجربة تساعدهم على الحصول على المهارات والقدرات للعيش أحرارا في مجتمعاتهم.

تصبح المدرسة في نظر جون ديوي، فضاء ديمقراطيا (زاسك، ٢٠٠١، ص ٦٠-٦٤). لكن الديمقراطية بحسبه لا تختزل فقط في النظام السياسي ولا في الشكل المؤسساتي كما هو الشأن في الأنظمة الشمولية ، لكنها تجسيد للحياة الشخصية التي ينبغي أن تؤثر على العلاقات الاجتماعية (الأسرة، الكنيسة، المصنع، المدرسة). بمعنى أنها شكل من أشكال الحياة وترتبط بالتوازنات التي تعرفها المؤسسات السياسية نفسها. إن تجربة القسم عند جون ديوي تساهم في ظهور أنماط من القيم وهي تنبني حول الصفات الآتية:

✓ وحدة الذات.

✓ المسؤولية.

✓ الغيرية والتضامن.

على هذا الأساس، تصبح المدرسة فضاء مثاليا لتعلم قواعد الديمقراطية وإدراك الترابطات بين الوسائل التربوية والمدرسين (هؤلاء يشكلون المحيط الاجتماعي) من جهة وبين مهارات الطفل وقدراته من جهة أخرى.

يتمكن الطفل، من خلال تنمية شخصيته، تحديد مصالحه في ارتباط مع مصالح الآخرين والتأقلم مع محيطه، ويبرز هذا بفضل الحس التجريبي الذي يدرسه عبر تعاطيه مع أشكال المعرفة الملقنة. على ضوء هذا التوجه، تصبح المدرسة شكلا جنينيا أوليا للمجتمع الديمقراطي.

في نفس السياق، نلمس ترابطا وثيقا بين مفهومي "التلميذ" و"المواطن"، حيث أن المواطن لا يرتبط فقط بتقوية مهارة خاصة، لكن الأمر يتعلق بقدرة عامة أو بما يصطلح عليه بشكل حياتي يمكنه من فهم واقعه ومحيطه. وبذلك يظهر المواطن كرمز من رموز المشاركة الفعالة في توجيه حياة الجماعة، ولا يتم ذلك إلا عبر التربية التي تسهل هذه الغاية حيث لا تصبح المواطنة بذلك خاصية مرتبطة بالقدرات فحسب بل وظيفة لإعادة تثبيت الحرية داخل الفضاء الاجتماعي وداخل الحياة الخاصة أيضا وتوجيهها لفهم العالم.

يصبح الشخص، بهذه المعاني، نقطة التقاء لمجموعة من التجارب المتناغمة والمنسجمة فيما بينها. و بذلك يتحدد مفهوم الديمقراطية داخل التنظيم الاجتماعي كفضاء تجمع ودمج بين النشاط الخاص ونشاط الوعاء الاجتماعي.

المدرسة كفضاء اجتماعي

كيف تصبح المدرسة فضاء قادرا على الحفاظ على ثبات المجتمع أو تعديله؟ سؤال يسعى جون دوي في كتابه "الديمقراطية والتربية" إلى الإجابة عنه من خلال بلورة مشروع مدرسة تؤمن بالاندماج الاجتماعي للتلميذ وتشتغل في نفس الوقت على هدف إنشاء مجتمع جديد. فداخل فضاء المدرسة، تتم عملية التشكيل أو القولية لان التربية تقوم على التعلم القائم على استدخال قيم وغايات كل مجتمع (دوي، ٢٠١١، ص ١١٢)، لكن التربية إن ركزت فقط على ديمومة النظام الاجتماعي المهيمن (بورديو، ١٩٩٤، ص ١٦١) فان ذلك لا يمنعها من حق إنتاج معارف جديدة مستقلة عن القيم السابقة، هكذا تختلف التربية عن التعلم، لان التعلم ترويض وصفي قائم على شكل المعرفة أما التربية فهي منهج أساسي لتقديم المجتمع ورقية.

التجربة المشاركة والفرديّة

إن وصف التربية كمنهج إصلاحي للمجتمع هو اعتراف بدور المدرسة في الحفاظ على خصوصية الفرد والأشياء الجديدة التي يحملها هذا الفرد،

وبذلك يكون للتربية معنى عندما يكون ثبات المجتمع رهينا بقدره هذا الأخير على تغيير الأوضاع. نحن إذن أمام نموذج مواطنة تستدعي فردانية التلاميذ قصد استثمار إدماجهم داخل الغايات الاجتماعية القائمة. لذلك يركز جون ديوي على نظرية التجربة كمقياس لنشاط الفرد والمجتمع على السواء، مما يجعل نظرية التربية نظرية براغماتية، زيفية وأداتية (دوي، ٢٠٠٧، ص ٤٣).

في هذا الشأن يتحدث جون ديوي عن ما يسميه بـ"التفاعل الفعال" الذي لا يختزل التربية في الفكر الفردي أو الفكر المجتمعي، لكنه يحددها في معنى المشاركة الفعلية للفرد داخل تجارب مجتمعية مشتركة. هكذا لا تصبح الفردانية فحسب امتلاكاً أو عطاء أو هبة، لكنها مشروع علينا بناؤه، تطويره وتحقيقه. وذلك من خلال الاعتماد على قوة المعلومة وعلى دور المعرفة بالفعل، فالتربية لا تعني فقط تثبيت المعلومة في ذهن الطفل، لكنها توجيه مؤطر يلغي الهوة بين استعدادات التلميذ وبين محيطه الاجتماعي سواء الصغير أو الكبير (دوي، ٢٠١١، ص ٤٥).

التربية الخاطئة

عارض جون ديوي كثيرا التربية التقليدية، كما عارض في ذات الوقت التربية المتمركزة حول ذات الطفل، فالتربية التقليدية تهتم بمعارف قد لا تكون صائبة وغالبا ما تكون مستوحاة من الإرث الثقافي للمجتمع. وتسعى التربية إلى تثبيت هذه الأفكار على الرغم من مقاومته لها، مهمة بذلك مصالحه وحاجاته الجديدة داخل دينامية وحركية العلاقات الاجتماعية المتجددة.

فالتطبع الاجتماعي لهذه التربية طبع انتربولوجي خاطئ، لأنه يتميز بالسطحية وبالتقليد ولا يساعد عقل المتعلم على التطور وعلى تخطي الجهل. فالتربية بهذا المعنى تقوم على التآييث والقولية والتطبع. أي أنها تربية تقليدية، أو توراتية ومحافظة.

هناك أيضا أخطاء رصدها جون ديوي فيما يتعلق بالتربية الجديدة أو ما يسميه "التربية الرومانسية" التي تقوم على فكرة أساسها أن الطفل يولد على فطرة وقدرات تمكنه من التطور والنمو بشكل أوتوماتيكي، لكن النزعات النشأوية للأطفال ليست في الحقيقة إلا استعدادات للتغيير ولتجارب مرتبطة بالمحيط الاجتماعي. من جانب آخر، تصنع التربية التقليدية تعلمًا منعزلا عن تجارب الغير وتخلق نوعا من الجمود الاجتماعي المنفصل عن سيرورة الواقع العالمي المتغير، هذا النوع من التربية يعزل المدرسة خارج دائرة الوعاء الاجتماعي الخاص والعام، لان المدرسة في الغالب تكون مرتبطة بالثقافة المحلية السائدة داخل المجتمع ولا تتفتح عن غيرها من الثقافات والقواعد التربوية المختلفة.

ويمكن إيجاز النقد الموجه للتربية التقليدية التي تستصدر الحس الديمقراطي المنفتح في التعلم في العناصر الآتية:

٤- التجربة عند جون ديوي هي بناء معرفي لشخصية المستقبل الرامية إلى خلق فرد نام، واع ومتطور.

- ✓ تقديس المدرسة واعتبارها فضاء للحقيقة المعرفية.
- ✓ القطيعة مع التجربة واستعدادات الأفكار الجديدة.
- ✓ فعل التذكر والنمطية .
- ✓ تشكيل متعلم سلبي ومحدود الطموح بسبب اجتراره لمعرفة غير دينامية.

نموذج مقارنة حول مفهوم المواطنة

يفصل التقليد الأوروبي جزئياً عن التقليد الأمريكي من حيث الصفة التي تسم المواطن الذي نسعى إلى إعداده ، فإذا كان مفهوم المواطنة أوروبا لا يفصل عن فلسفة الأنوار والتوجه الديمقراطي الليبرالي الذي أرسته الثورة الفرنسية، مثلاً من قبيل قيم الحرية والمساواة ، والمشاركة، فإن التقليد الأمريكي ينسوخ عن هذا التصور المثالي لأنه يتمركز حول قيمة ذات المواطن داخل الفضاء الاجتماعي ، الاقتصادي والسياسي ، أي أن المواطنة تقتصر بطابع براغماتي خالص. وإذا كانت المدرسة الأوروبية أيضاً حاملة لمفهوم القواعد والقيم المثالية ، فإن المدرسة الأمريكية تستمد أسس المواطنة وركائزها من نظرية التجربة وقوى التفاعل وعلاقات التأثير والتأثر. فالمهارات والقدرات ليس من يصنعها المدرسة فحسب بل المتعلم أيضاً بدوره.

(التقليد الأمريكي)	(التقليد الأوروبي والهندي)
<ul style="list-style-type: none"> ❖ ارتباط مفهوم المواطنة بمفاهيم الديمقراطية و"نظرية التجربة" و"النظرية التربوية". ❖ المواطنة كحق مدني وسياسي. ❖ المواطنة كنتاج مستقل له برنامجه إطاره الكرونولوجي (التوجه البراغماتي). ❖ التجربة كسبيل لصنع المهارات والقدرات. ❖ المدرسة شكل من أشكال الحياة اليومية المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية والمؤسسات (الأسرة ، المصنع ، الكنيسة). ❖ المدرسة كفضاء وكوعاء تسوده الديمقراطية والمسؤولية. 	<ul style="list-style-type: none"> ❖ ارتباط المفهوم بمفهوم الدولة وبمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان. ❖ المواطنة والديمقراطية التشاركية. ❖ المواطنة كتوجه سياسي (انجلترا). ❖ دينامية مفهوم المواطنة وارتباطه بالمسؤولية. ❖ الحمولة الإيديولوجية للمواطنة ودورها الاجتماعي (فرنسا، الدانمارك، سويسرا). ❖ المواطنة القائمة على التنوع ونبذ الاختلافات. ❖ المواطنة كقيم وسلوكيات وليس كمعرفة وتعلم. ❖ المواطنة المثالية الجامعة بين القطب السياسي والقطب الأخلاقي .

<ul style="list-style-type: none"> ❖ المواطنة كفهم للواقع وكانخراط في مسار الحياة في علاقة مع الآخرين. ❖ المواطنة كنقطة التقاء بين تجارب مختلفة، المدرسة بين ثبات المجتمع وتحوله. ❖ المواطنة كتجربة تفاعلية. 	<ul style="list-style-type: none"> ❖ المواطنة بين الخصوصية والكونية. ❖ حق التلميذ في مواطنة حرة دون قيد، إلزام أو شرط (النموذج الهندي).
---	---

على ضوء معرفتنا لمظاهر وأشكال المواطنة في التقاليد الأوروبية والأمريكية ينبثق مشروع مواطنة جديدة تصبو إليها هذه الدراسة ، تتخطى حاجز الدوائر الجغرافية وحدود النظريات التربوية المرتبطة بها ، علما أن عالم اليوم يختلف عن عالم الأمس من حيث الوقائع والتحديات .فلقد أصبح العالم المعولم يتقاسم الريح والخسارة، ولا سبيل من خروج إلا التفاعل الايجابي المثمر و توحيد الصف الإنساني تحت مشروع تربوي خالص قائم على مواطنة عالمية مشاركة ومندمجة.

كورونا والتحدى الجديد أزمة

إن انتشار وباء كورونا المستجد كوفيد 19 ليس فقط أزمة جائحة تباطأت معها وتيرة الاقتصاد العالمي وتعطلت على إثرها حركة الأسواق العالمية والمحلية، فالحقيقة أكبر من ذلك ، فكما يقال " رب ضارة نافعة"، والنفع الذي نستجليه من تبعات هذه الظاهرة هو نفع الاستفادة من الضرر بتحويله إلى قوة مضاعفة.

الجميل ربما في أزمة كورونا هو توحيد الصف الإنساني على نفس الخط من التهديد والخطورة ، وهذا واضح من خلال تجند الجميع لتبني إستراتيجية دفاعية موحدة شملت التدابير الصحية والمجتمعية والاقتصادية ، وهو الذي ساهم بشكل كبير في بروز نوع جديد من المواطنة العالمية المقاومة للمخاطر (بيك، ٢٠٠١، ص ١٢).

إن أهم درس لفتته هذه الأزمة هو الانخراط في مشروع تضامني إنساني ركيزته الثروة البشرية (موران، ٢٠٢٠، ص ٤٣). لقد كشفت هذه الجائحة عن عيوب سياسات التدجين و الحجر على الكفاءات والاجتهادات ، والتي كانت دوما تستصدر جميع أشكال بروز "الإنسان" الذي أصبح بريقه ينمحي داخل دوائر التفاهة والفساد والشطط و الزبونية وداخل أروقة المال و الأعمال ، ليصبح إنسانا جريحا ينبذ حظه العثر، أشبه ما يكون بجثة تتحلل في طريقها إلى التلاشي والى الزوال ، ودفعتنا إلى الالتفاف من جديد حول موضوع "الإنسان" باعتباره النموذج الحقيقي لكل بناء تنموي جاد وفعال، فتنمية الإنسان وتمكينه من إحلال اتجاهات ايجابية هو صانع لحراك حقيقي. (بروز الفئات النافعة اجتماعيا "الصحة، التعليم والأمن" واندحار الفئات الهشة، التافهة والطفيلية).

ولقد سبق أن أكد كثيرون ومن بينهم 'ويليام بيدل' و'ارستنت وي' و'ويليام ايفان' على ضرورة تنمية الإنسان وتدعيم مشاركته الطوعية خلال مراحل الاستكشاف، البناء، التخطيط، التقرير والتقويم. فالبشر هم الثروة الحقيقية للأمم كما جاء في تقرير الأمم المتحدة، والبشر فاعلون مركزيون في مشاريع التنمية والبناء. لا بد إذن من توسيع فرص الإبداع الإنساني (شومبيتر وكيزنر، ٢٠٠٥، ص 87) في إطار مقاربة شمولية للتنمية داخل الحقل المدرسي تجمع في آن واحد بين مواطنة الذاتية المنفعية و مواطنة المنطق المجتمعي المركب، وتتصهر فيه روح الأفراد Liberal Leader بروح الجماعة والقيادات كما تتصهر فيه المحلية بالكونية (كارا، ٢٠١٨).

لا بد من إشراك المتعلم في مشروع مدرسي قائم على المواطنة المشاركة، في التخطيط وفي صنع القرار، لا بد من احترام خصوصياته كفاعل ذي إرادة حامل لمشروع ذهني ومعرفي. لا بد من تحريره من مشاعر الغربة والانتظارية من خلال إشباع حاجاته ورغباته (علم النفس الإنساني عند أبراهام ماسلو، ١٩٦٤) له الحق في التنمية (كارل فاسيك) كما له الحق في المدينة (فديريكو مايور، ٢٠٠٠)، له الحق في العدالة باعتبارها إنصافاً (رولز، ١٩٩٩) كما له الحق في رسم معالم السياسة وتفعيل مشاركته (الدراسات السياسية والعلاقات الدولية عند ريزيت و روجرز)، له الحق في التدبير العادل للثروات وتوزيعها، له الحق في المجال وفي السلطة (ميشال فوكو، ١٩٧١)، وله الحق في تأكيد انتمائه ضمن المشروع الإنساني. هذه الترسنة الحقوقية لا بد من استدعائها داخل الرسائل المعرفية الموجهة للأجيال المدرسية حتى يسما الطموح والرغبة في الارتقاء بالأوطان (كوثراني، ٢٠٠٤، ص ١٣١). فأزمة كورونا كشفت عن زيف خطاب "المحلية" وعززت مكانة 'الكونية' والانتماء إلى الحقل الإنساني.

لقد أبرزت الجائحة أن تنمية الجيل المدرسي الجديد هي بوابة نحو تنمية انخراط فعلي في هموم العالم. هذه النظرة الشمولية العقلانية هي رهان ذو زاوية صاعدة يتفاعل فيه الذاتي بالمجمعي، المحلي بالكوني، الخاص بالعام. إنها سيرورة العدالة بلغة (رولز) التي عليها أن تتجاوز ما يسمى بأشكال 'الائتلاف المهيم' أو 'التفاوض المهيم' أو 'الهيمنة المرنة' (كورباسون، ٢٠٠٠، ص ١٧) وتستصدر جميع أساليب الرأسمالية العائلية الطفيلية. على هذا الأساس، تصير المواطنة فلسفة وإرشادا تربويا على حد تعبير "سوتوي" و "كارل مانهايم"^٥. ففضية المواطنة قضية أخلاقية تفرض بالضرورة المصالحة مع الذات والعالم أولاً ثم السعي إلى تحقيق ما يضمن السعادة والرفاهية للإنسان في هذه الأرض تحت خطة تضامنية تلغي الحواجز الإيديولوجية والاختلافات الجغرافية.

عندما نتحدث عن المدرسة الجادة والمسؤولة (غير المؤدلجة وغير المرتزقة) التي تتغى الدفاع عن حق المتعلم في مسائلة واقعه والسعي إلى تغييره، فإننا نشيد دربا جديدا من العقلانية المتنورة التي سوف تحررنا من المكونات اللاشعورية وتخلق لدينا اتجاهات جديدة من الضبط الذاتي الشعوري.

^٥ استحدث كارل مانهايم مفهوم "التخطيط الشامل" Planing Overall

تبعاً لذلك، على المدرسة أن تخلق لدينا نموذجاً من الشخصية يتسم بالحراك النفسي (Psychic mobility) على حد تعبير "جاك ليرنر"، شخصية تتسم بالمشاركة الانفعالية (موراي، 1988، ص 87) على غرار ما يوجد عند الشخص الياباني والكوري على سبيل المثال، حتى وإن كانت المحددات السوسيوثقافية غير متشابهة، شخصية تستمد روح المواطنة وأفكارها من مبادئ ومقومات التنمية التي طرحها "بيتر دوسوتوي" من قبيل "العون الذاتي" "المبادأة المحلية" و"استثارة الجهود" (بيتر دوسوتوي، 1968، ص 40-45).

إن التعلم على المواطنة يجعل الإنسان لغة غير مغلوطة كما يجعلها تتزعم شتى الاستراتيجيات، أمبريقية كانت أو عقلانية، قانونية أو ثورية، علمية كانت أو نفسية. إنها حاضرة في كل شيء، وبكل المعاني، فالمشروع المدرسي للمواطنة هو مشروع لإعادة هبة الإنسان كمركز تنطلق منه كل الخطط والآليات والتدابير (لافيوليت و لو، ٢٠٠٦). فإذا كانت العديد من المدارس التربوية الكبرى من مثيل "مدرسة التحليل النفسي التربوي" و"مدرسة الجماعة" و"حلقات النقاشات الجمعية" قد أقرت بمركزية المتعلم في أروقة العمليات التربوية التواصلية والتفاعلية، فعلى استراتيجيات الحاضر أن تعي بأهمية مواطنة محرك و فاعلة محلياً وعالمياً، وكأصل للأشياء (كتاب "أصل الأشياء" للكاتب 'Julios Lips') فكل مواطنة صادقة تبتدئ من الإنسان وتمر بواسطة الإنسان لأجل رفاهية الإنسان.

خاتمة

لقد غيرت جائحة كورونا مجريات العالم بأسره وعلى المدرسة النموذجية التي نتوخاها اليوم أن تنجح في رسم بورتريهات مواطن حر، مستقل، مهاري، مشارك، إيجابي و ساع إلى تغيير فضائه الخاص والعام نحو الأفضل، على نحو يضمن رفاهية ومستقبل الإنسان تحت سياق معولم. كما أن الجائحة أثارَت من جديد علاقة التربية بالقيم الكونية بوصفها علاقة جدلية ووثيقة، إذ لا يمكن الحديث عن التربية والمواطنة في ظل غياب الحريات الخاصة والعامة و انعدام الديمقراطية الحقيقية القائمة على المساواة وتكافؤ الفرص والمبنيّة أيضاً على العدالة الاجتماعية والتسامح والإيمان بالاختلاف وشرعية التعدد (أبو حشيش، ٢٠١٤، كليات التربية وسيلة الدول لتعزيز قيم المواطنة).

و لا يمكن في نفس الصدد أيضاً، وبشكل عكسي، الحديث عن القيم الكونية في غياب تربية حقوقية وتعليم بناء وهادف يتسم بالجودة، بالإبداع، بالابتكار، بتكوين الكفاءات المنتجة وبتشجيع البحث والاستكشاف والتنقيب العلمي والمعرفي. فالتربية والقيم متلازمتان كوجهي العملة النقدية، وما أحوجنا اليوم إلى مشروع مدرسي و تربوي يمزج بشكل متناغم بين المواطنة المحلية والكونية لأجل تأهيل ناشئتنا على ضوء رؤية إبداعية قائمة على أسس النظام والمسؤولية والانضباط والانفتاح،

ومتشعبة بمبادئ الحرية والتغيير وبناء الدولة والأمة وفق أسس الإنتاج والابتكار المثمر لصالح الوطن خاصة و لصالح العالم بأسره عامة (جيدوري، ٢٠١٩، ص ٩٨).

وختاماً، قد تكون أزمة كورونا قد أجبرتنا على التبعاد الاجتماعي حرصاً على السلامة والوقاية، لكنها زكت، في جانب آخر، الفكر التضامني ذي الوجه الكوني ودفعتنا إلى التقارب الإنساني أكثر من ذي قبل، بل ودعتنا أيضاً إلى إعادة التفكير في علاقتنا بهذا العالم تحت راية مواطنة معولمة بعيدة عن أشكال التصادم والتطاحن.

المصادر والمراجع

المراجع بالعربية

- كوثراني، وجيه (٢٠٠٤) هويات فائضة: مواطنة منقوصة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان
- جيدوري، صابر (١٤٤٠هـ) تنمية قيم المواطنة العالمية لدى طلبة المرحلة الجامعية، كلية التربية جامعة دمشق، سوريا) بحوث ودراسات (المنهل، مكتبة المنهل الإلكترونية com.almanhal.platfrom://https
- أبو حشيش، بسام (٢٠١٤)، كليات التربية وسيلة الدول لتعزيز قيم المواطنة، رسالة ماجستير.
- كارا، نوري (٢٠١٨)، محاولة فهم معتقدات وممارسات طالب الجامعة حول المواطنة الرقمية: دراسة مختلطة.

المراجع الأجنبية

AUDIJIER, François, *l'éducation à la citoyenneté dans ses contradictions*, Avril 2007, Revue internationale d'éducation de Sèvres, N° 44 | 2007,p.(25-34), disponible en texte intégral sur le site <http://ries.revues.org/>

BECK, Ulrich , *La société du risque :Sur la voie d'une autre modernité*, trad. de l'allemand par L. Bernardi, Paris, Aubier,2001

BOURDIEU, Pierre, *Raisons pratiques*, 256 pages, Paris, France, éditions Seuil, 1994

CLAIR, Jean , *le citoyen idéal*, Article publié sur Le Figaro, Novembre 2012, Paris, France

DEWEY, John, *Démocratie et éducation. Suivi de « Expérience et éducation »*, Paris, Armand Colin, France, 2011

LEAUMBOLE, Gertie , *Qu'est-ce que c'est qu'un citoyen idéal?*, 25 septembre 2012

RAVEAUD , Maroussia, « *L'élève, futur citoyen* », Revue internationale d'éducation de Sèvres, N° 44 / 2007, disponible en texte intégral sur le site <http://ries.revues.org/>

ZASK, Joëlle « *L'élève et le citoyen, d'après John Dewey* », Le Télémaque (n° 20), 2001, pp. (53 -64), disponible sur <https://doi.org/10.3917/>

جميع الحقوق محفوظة © 2020، الباحث: بوكريين كريم، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي.

(CC BY NC)